الإمام الخميني يحذر من نفوذ الأفكار الالتقاطية، والفهم الخاطئ للأحكام السياسية . العبادية في القرآن.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بالأمس طرحنا موضوع "الغصب" وتحدثنا عنه، وبعد نهاية الدرس ذكّرني أحد الإخوة بأني قد طرحت هذا الموضوع سابقاً، فكان الأمس تكراراً لذلك.

ومثل هذا الأمر لا يبعد صدوره عن مثلي، فالإنسان . بازدياد عمره وغَلَبة الشيخوخة عليه . تضعف جميع قواه. وكما تضعف القوى البدنية، تضعف أيضاً قواه الفكرية والروحية، وقدرته على العبادة، وحالة العبادة لديه.. كلها تضعف، لكنها تكون فعالة ونشطة في مرحلة الشباب، لهذا كنت أذكّر الإخوة المحترمين مراراً بأن يقدّروا نعمة الشباب حق قدرها، ما زالوا يتمتعون بها. وأن يحولوا دون ضياعها هدراً.

فلو قُدِّر للشباب.. أنا لا أقول بأن لا يخصص وقتاً للراحة والنزهة، لا أقول بأن يكون مشغولاً دوماً، بل أقول إنّ على الشباب أن ينظّم أوقاته، ويجعل معظمها للتعلّم. فما زلتم قد وطّنتم أنفسكم أيها الإخوة على التحصيل العلمي، فعليكم . وما زلتم تتمتعون بنعمة الشباب . أن تنظّموا أوقاتكم، وتجعلوا القسم الأساسي منها مخصصاً للمناقشة والمطالعة والدراسة والبحث والتدريس، ولا تتوهموا أنكم تستطيعون . إذا ضاعت منكم أيام الشباب . أن تؤدوا عباداتكم أو تحصّلوا العلوم في أواخر أعماركم، فالإنسان لا يستطيع آخر عمره تحصيل العبادة ولا التعلم، ولن تكون طاقته الذهنية قوية أو مستقيمة بحيث يتمكن من إدراك دقائق المطالب العلمية.

لذا، عليكم بذل الجهد الآن . وما دمتم شباناً . في تعلّم المباني العلمية والفقهية، وفي ذلك الوقت . آخر العمر . ستعطي هذه الأمور، التي تعلّمتموها الآن، ثمارها بعد أن تكون قد تكاملت أغصانها وأوراقها حينها، وعندئذ تتحقق الفائدة المرجوة منها. ولكن إذا تركتم هذه النعمة تضيع هدراً هكذا، فإنكم لن توفَّقوا بعدها.

لذا، على الإخوة المحترمين . وبناءً على الأخذ بنظر الاعتبار أنّ أيام الشيخوخة، أيام نسيان وضعف ذاكرة . أن يفسروا إعادتي للموضوع الذي كنت قد عرضته سابقاً، نعم فذلك بسبب الضعف الذي يعتري الإنسان في أيام شيخوخته.

هنالك أمر آخر، ينطوي . في رأيي . على أهمية بالغة، وينبغي على الإنسان الالتفات إليه وهو أولاً: إنّ الإنسان . أقصد هذا الكائن الذي يمثّل خلاصة الخليفة . ينطوي على جوانب وأبعاد وخواصّ مختلفة، يشترك في بعضها مع النباتات.. كذلك أيضاً. فكما أنّ نمو النبات يعتمد على الماء، وكما أنّ غذاءها من الأرض، كذلك فإنّ الإنسان يعتمد في نموّه . كسائر النباتات . على النعم والبركات التي أودعها الله (تبارك وتعالى) في هذه الأرض. كما أنّ له خواصّ حيوانية كسائر الحيوانات، له عين وأذن وكذا وكذا.. وله إدراكات بسيطة كما للحيوانات (طبعاً هي الحيوانات بمستواها الأدنى) وللإنسان هنا مرتبة "مثالية" عدا ذلك، هناك أمور يختص بها الإنسان وهي: التعقل، والجوانب المعنوية وبعض التجرد الذاتي مما لا يوجد منها لدى الحيوان.

ثانياً: القرآن الكريم الذي يتصدر قائمة الكتب السماوية التي جاءت في الحقيقة . كما القرآن الكريم . لبناء هذا الإنسان، وتحويله من إنسان بالقوة ال إنسان بالفعل، وموجود بالفعل، والأنبياء بدعوتهم بعثوا لتحقيق هذا الغرض . حسب اختلاف مراتبهم طبعاً . وهو تحويل الإنسان إلى إنسان حقيقي من "القوة" إلى "الفعل" فجميع العلوم الدينية والعبادات والمعارف الإلهية وجميع الأحكام العبادية مما هو موجود، جميعها يراد بها تحقيق هذا الأمر، تحويل الإنسان الناقص إلى إنسان كامل.

فالقرآن الكريم . إذاً . كتاب لبناء الإنسان إذا ارتبط به الإنسان، فسيجد أنه يساهم في جميع المراتب الخاصة بالإنسان، كما هو وجميع تلك المراتب ترتبط به.

إنّ حكومة الإسلام وسائر الأديان الإلهية تختلف عن سائر الحكومات، فسائر الحكومات المادية، وأياً كان النظام الذي تعتمده تهتم فقط بحفظ النظام في بلدانها، وإذا كان القيّمون عليها ممن يحرصون أشد الحرص على العدالة، فإنهم سيحرصون بالدرجة الأولى على أن لا يظلم أحد أحداً ولا يتعدى شخص على آخر، وإذا كانوا حكاماً عادلين فإنهم سيمتنعون عن الاعتداء على الآخرين، وينصرفون إلى حفظ النظام في بلدانهم فقط. ولكن إذا أراد أحد أن يمارس أي عمل في داخل منزله، فبإمكانه القيام بذلك، بشرط أن لا يكون عمله خطراً على الحكومة، أو على وضعها العام، وبشرط أن لا يمس بالنظام، فبإمكانه أن يشرب الخمرة مثلاً داخل منزله، أو يلعب الميسر، أو يرتكب أي عمل قبيح. فإنّ الحكومة لا تتعرض له. أما إذا خرج وأثار ضجة ما فإنّ الحكومة لا تتعرض له. أما

إذا خرج وأثار ضجة ما فإنّ الحكومة تعترضه لما في ذلك من الإخلال بالنظام، أما ما يفعله داخل جدران منزله، فليس من شأنهم سواء في ذلك إذا كانت الحكومة عادلة أو جائرة، إلاّ إذا حصل اعتداء في داخل المنزل، وعرضت القضية على الحاكم، حينها سيتصرفون..

والحال أنّ الإسلام والحكومات الإلهية ليست كذلك، فهي تطرح حكمها في كل مكان، وعلى كل شخص أينما كان، وعلى أية حالة، أي أنّ أحداً إذا أراد القيام بعمل منافٍ أو فسادٍ ما في داخل منزله، فإنّ الأحكام والحكومة الإسلامية تتبعه إلى هناك، وإن كانت الحكومة لا تأتي للتفتيش إلاّ أنّ الأمر بحد ذاته محرّم، فهي تعطي حكماً بعدم القيام بذلك العمل، وتحدد العقاب لمن يرتكب هذا العمل، وإذا تم اكتشافه فإنّ لديها من الأساليب المختلفة من أنواع الحدود والردود التي تعتمد على الموازين الموجودة في الشريعة.

إنّ الإسلام وسائر الحكومات والدعوات الإلهية، تعتني بجميع شؤون الإنسان بدءاً من أبسطها وحتى أعقدها، جميعها تهتم بذلك، لا مثل الحكومات الأخرى التي تهتم فقط بساسة الملك. فكما أنّ في الإسلام سياسة للبلاد، وكما أنّ أغلب أحكامه أحكام سياسة، فهو يضم عدا ذلك أحكاماً معنوية، يضم حقائق ومعنويات تعتني بالرشد المعنوي للإنسان، وبتربية الإنسان روحياً في العشرة، فالإسلام يحدد أحكام العلاقة بين المسلمين والآخرين، للإسلام أحكام لعلاقة الإنسان مع نفسه، وأحكام لعلاقة الإنسان مع زوجته، ومع ولده وجيرانه، ومحلّته وأصحابه، ولعلاقته مع مواطني بلده، ولعلاقته مع مَن يعتنقون نفس ديانته، ومَن يعتنقون غير ديانته، أحكام تشمل كل الحياة والى ما بعد الموت حتى. فلدى الإسلام أحكام لحياة الإنسان منذ الفترة السابقة لولادته وزواج والديه، ومروراً بفترة الحمل به، وحتى الولادة. ثم لما يتعلق بأمور التربية في الطفولة والصبا والبلوغ والشباب وحتى الشيخوخة، بل أنّ الأحكام تتبع الإنسان إلى القبر، والى ما بعد القبر.. فوضع الإنسان في ملحودة قبره لا ينهي الأمر، بل يعتبر ذلك أول الأمر. فجميع هذه الحياة البشرية في الدنيا، وكل ما يتعلق بتربية الإنسان، وجعله عقلانياً وأخلاقياً وغيره، ثم إلى أن ينفصل عن هذا العالم ويبلغ مرتبة الكمال ومرتبة التجرد . المرتبة الأصلية . ثم بعد تسليمه إلى القرر، وبدء حياته الروحانية، حياة القبر، الحياة الروحية والمعنوية والبرزخية، والى ما هو أرقى من الحياة الروحية والبرزخية كلها تقع ضمن دائرة اختصاص الإسلام. فالإسلام وأحكامه التي بعث الله تعالى بها الأنبياء والرسل لا تهتم بهذا العالم فقط، أو بالعالم الآخر فقط.

هناك ثلاث فئات من العلماء موجودة على مر العصور هم: الفلاسفة والعارفون والمتكلمون، ممن كانوا ساعين دوماً في تحصيل الرشد المعنوي، وقد تمسكوا دوماً بتلك المعنويات . كل حسب طاقة إدراكه . وخطّأوا القشريين فقد اعتبروا كل مَن سواهم قشري وخطّأوه، بل إنهم حينما تعرّضوا لتفسير القرآن فسّروا أغلب الآيات بالمعاني العرفانية والفلسفية، وغفلوا كلياً عن الحياة الدنيا، وما هو مطلوب لها، وعن التربية الواجب تحقيقها فيها. غفلوا عن ذلك، وتمسكوا بتلك المعاني التي تفوق إدراك العامة وسواء الناس . وكل حسب مذهبه . وعلاوة على طرح تلك التفاسير فإنهم خطّأوا كل مَن سواهم. وفي نفس عصرهم كانت طائفة هناك أخرى من العلماء ممن توجهوا نحو الاهتمام بالمسائل الفقهية والتعبّدية، أولئك أيضاً قاموا بدورهم بتخطئة هؤلاء، فوصموهم بالإلحاد أو الكفر أو عملوا معهم ما عملوا وخطّأوهم، والحال أنّ كلاهما بجانب الواقع.

فالفقهاء حصروا الإسلام بالأحكام الفرعية، والفلاسفة والعرفاء حصروا الإسلام بالجوانب المعنوية وما وراء الطبيعة، حيث كانوا يعتقدون أنّ ما وراء الطبيعة هو الشامل لكل الجوانب، في حين أنّ أولئك رأَوا أنّ الإسلام جملة من الأحكام للدنيا، وأنه مجموعة من الأحكام الفقهية، ولا معنى لكل ما عدا ذلك.

ظهرت بعد ذلك مجموعة من الكتّاب المتدينين والفضلاء العاملين . كأولئك الفقهاء العاملين . فالمتكلمين والفلاسفة كانوا عاملين أيضاً، وسعَوا إلى خدمة الدين، وتوضيح أحكامه . وكلٌ حسب فهمه . وعلى أية حال، ظهرت مجموعة من الكتّاب ذوي الأقلام الجيدة، هؤلاء فسّروا الآيات القرآنية على خلاف ما فسّرها العرفاء والفلاسفة من الأمور المعنوية، فسّروها بالماديات.

أولئك كانوا يقولون: إنّ الإسلام جاء أساساً لتعليم الناس التوحيد وسائر المسائل العقلية الإلهية، وباقي الأمور إنما هي مقدمة لذلك، لذا ينبغي تركها، والسعي نحو تحقيق الغايات لذا فإنهم . طبعاً بعضهم لا جميعاً . لم يكترثوا بالفقه والفقهاء، ولا بالأخيار أو ظواهر القرآن أو الكثير من الأحكام الموجودة في القرآن. طبعاً لم يردّوها، إلاّ أن تعرّفهم كان كالرد عليها تماماً، فعدم الاكتراث، واتخاذ موقف الحياد إزائها كان معناه هذا. وبالإضافة إلى تخطئتهم أقرانهم، واعتبارهم قشريين، بمعنى "ما نؤمن ببعض.." الآية، هم لم يقولوا لا علاقة لنا، أو أننا لا نقبل بذلك! بل قالوا: "إنّ الجوانب المادية طاغية على الدنيا، وأنّ الدنيا مليئة بالزخرف، وأنّ أهلها كذا.."..

ثم ظهرت تلك المجموعة التي نادت بالقول: "إنّ أحكام الإسلام جاءت أساساً لإيجاد نوع من العدالة الاجتماعية، والقضاء على الطبقية. وليس في الإسلام شيء آخر، والتوحيد في الإسلام إنما

يعني التوحيد بين جماهير الناس، وفي توحيد نمط الحياة، وأما العدالة في الإسلام فتعني حياة الناس مع بعضها البعض بشكل عادل ومتساوٍ، فالأساس أن تكون الحياة البشرية كالحياة الحيوانية، فيعيش الناس حياة واحدة، لا يتدخل أحد بشؤون أحد.

أما تلك الآيات التي تتحدث عن المعاد والتوحيد، وكل تلك الأدلة والبراهين الواردة بخصوص إثبات النشأة الثانية فإنّ ذلك المتدين يغضّ طرفه عنها، ويلجأ إلى آيات أخرى، ناهيك عما يلجأ إليه ذلك الذي لم يقوِّ تديّنه إلى درجة كافية من التأويل، وهكذا.

في أيام شبابنا، رأينا اثنين أو ثلاثة من طلبة العلوم الدينية، ممن كانوا يحملون أساساً نوعاً من الإنحراف، الذي لم يظهر نتيجة عدم ظهور أمثال تلك الأمور بعد، جاؤوا ليعلنوا أنهم توصلوا إلى فهم جديد، وهو "أنّ القيام موجودة هنا في الدنيا، وكل ما هو مقرر وقوعه يقع في هذه الدنيا، القيامة هنا، والجزاء هنا، وكل شيء ينتهي هنا، والحياة البشرية ليست سوى حياة حيوانية، وكل شيء هنا في هذه الدنيا."

تلك المجموعة كانت من المتدينين، ومن المحبوبين أيضاً، إلاّ أنهم كانوا واقعين في خلط واشتباه. وحينما يطالع الإنسان ما كتبوا في المجلات وغيرها، يرى أنهم يفهمون "مجيء الإنسان لمجرد بناء الإنسان، والقضاء على الطبيعة"، يقولون إنّ المطلوب هو أن يصبح الإنسان حيواناً "جاء الإسلام لخلق الإنسان المشاعي (غير الطبيعي) لا غير"، أي أن يعيش الإنسان حياة تكون الحكومة معها مسؤولة عن تلبية الحاجات بالتساوي، ويكون الجميع في خدمة الحكومة.. وكذا..

فقد كانوا يريدون إسقاط كل الآيات والضرورات الموجودة في كل الأديان من حساباتهم، ويؤولون الآيات التي لا يستطيعون تأويلها. تماماً كما كان أولئك يفسّرون الآيات بالمعنى العرفاني.

وتأمّلوا بما كان أولئك الذين اتجهوا بهذا الاتجاه يقولونه حول قضية موسى والخضر فمن أين جاؤوا بما قالوا؟ والله أعلم من أين جاؤوا بما قالوا. غير أنه طبيعي ذلك بعد المستوى الذي وصله الإنسان في ذلك التوجه، وبعد أن أضحى كل توجهه النفسي منصبّاً على تلك المعاني الغيبية، وإغفال أمر التربية على الأرض تماماً. وبعد أن أضحت الأمور التي لا يمكن أن تتجلى من موضوع واحد، تتجلى له مظاهرها هو المعنى الذي يراه هو، ولا وجود لمعنى آخر. قضية موسى والخضر ظاهرها هذا المعنى الذي ذكر مثلاً.

والإنسان أساساً حينما ينصبّ جهده على علم من العلوم، ويوجّه اهتمامه نحوه، فإنّ اهتمامه سينحصر هناك والقلب بطبيعته هكذا، فحينما يتوجه نحو العرفان يصبح كله عبارة عن "عرفان" ولا

يثير اهتمامه بعدها وجود دنيا أو وجود منهج تربوي، فهو يرى العبادات بشكل آخر، والدعاء كذلك بصورة أخرى. نعم، يفسّر الأمور كلها بذلك المعنى الذي لا يوجد فيه غيره. لذا فهو لا يدرك الأمور التي لا تنسجم مع توجهه، في حين يفسّر جميع الأمور بالمعنى الذي هو المعنى المسلّم به بالنسبة إليه.

من جهة ثانية، فإنّ أولئك الذين تمسّكوا بالاتجاه الآخر، وأضحى الواحد منهم لا يدرك سوى عالم المادة هذا، هم ذوو إدراك ناقص، لا يفهمون حقيقة الأمر، إدراكهم ناقص، وهم ليسوا أصحاب برهان أو استدلال بحيث يمكنهم إثبات مدّعاهم، إنهم ذوو بيان، ذوو بيان جميل، أدباء، وهم لا يتعقلون وجود ما وراء هذا العالم، لذا فإنهم يؤولون الآيات بآرائهم، ويفسّرونها بهذه الحياة الحيوانية، وينادون بجعل الحياة بلا طبقية، وبجعلها مرفّهة، يعيش فيها الجميع سواسية وما شابه ذلك، إذا أمكن ذلك أساساً.

لا بد من القول: "إنّ الإسلام بدأ غريباً" وغير مرغوب فيه، واليوم أيضاً عاد الإسلام غريباً، والإسلام كان غريباً منذ بدء ظهوره وحتى الآن، وإنّ أحداً لم يعرف الإسلام كما ينبغي.

ذلك "العارف" عالمٌ بالإسلام بتلك المعاني العرفانية والغيبية، وذلك "المتدين" الذي ظهر بعد ذلك، وكتب بالمجلات كذا وكذا، يرى الإسلام عبارة عن معرفة حكومته وما ينبغي أن تكون عليه، وكيف تكون تربيتها، وما يجب أن تكون عليه ظاهرها، وما ينبغي وجوده من العدالة.

ويكفي أن يصل الإنسان لتحقيق تلك الحياة المادية الطبيعية بتلك الشروط، فيكون الإسلام قد حقق أهدافه، فأقصى غاية الإسلام هي هذه الحياة الحيوانية المرفّهة، التي يعيش فيها البشر كسائر الحيوانات التي ترعى في المراعي، لا يزاحم أحدها الآخر، وتُعلف جميعها على السواء. فالبشر هم كذلك، يقولون: "إنّ بني الإنسان القديم كانوا جميعاً يأكلون السمك، يصطادون السمك من البحار ويأكلون دون أن يزاحم أحد أحداً، ويصطادون الغزلان والحيوانات الأخرى من الصحاري، ويأكلون على السواء دون أن يكترث أحدهم بالآخر. وهذه هي المرتبة الراقية التي كان الإسلام . وما زال . يسعى لبلوغها. فالإسلام وسائر الأديان السماوية جاءت لكي تعيد البشر إلى تلك الحياة الحيوانية المرفّهة. كل ما هنالك أنهم كانوا سابقاً يصطادون السمك ويعيشون، الآن سيعيشون بالسمك والفرّوج! حياة مرفّهة، يصلح الإنسان فيها أمر لباسه ومأكله وحسب"، أما ما عدا ذلك من المعارف الإلهية؟ وما وراء هذا العالم؟ وما وراء الطبيعة؟

إنهم لا يستطيعون تعقّل ما وراء الطبيعة. فما هو ذلك العالم الآخر؟ لا يستطيعون أن يتعقّلونه، لا يستطيعون أن يدركوه، فماذا يفعلون؟

عليه، أقول: أيها السادة المحترمون المشغولون بتحصيل العلوم ليس لأولئك الحق بأن يقولوا: إنّ اللحى والعمامة أصبحت عديمة الفائدة، وإنّ هذا النمط من التحصيل لا ينفع . يقولون هذا لجهلهم بالإسلام . كما لا يعطيكم الحق أن تقولوا أنتم عن معاني المعرفة والمعارف الإلهية: "ما هذه العلوم؟ إذا قلتم شيئاً كهذا، فهذا يعني أنتم أيضاً مثلهم". كما أنّ ليس لكلا الفريقين الحق فيما يقول، فأنتم تستطيعون تسفيه منطقهم في رفع الظلم وبسط العدالة، كما أنهم سيخطّئون كل شيء.

إنّ الإسلام ليس محصوراً في هذه الأمور، الإسلام يبني إنساناً ساعياً للعدالة وناشراً لها، إنساناً يتحلّى بأخلاق كريمة، ويحمل معارف إلهية تؤهله أن ينسجم مع واقع الحياة في العالم الآخر بعد رحيله من هذا العالم، فهو آنذاك يكون قد أصبح آدمياً بحق.

إنّ هؤلاء الذين يرَون جانباً واحداً من الإسلام دون غيره ناقصون {إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.}

يروى . ولست بصدد تصحيح الرواية أو ردها ولكن يرود أنّ بعض المفسرين يقولون إنّ "المغضوب عليهم" هم اليهود، و"الضالين" تعني النصارى. كما هناك رواية أخرد ولا أستطيع تأكيدها ولكني أنقلها عمن نقلوها . يقال كان رسول الله (ص) يقول: "كان أخي موسى عينه اليمنى عمياء، وأخي عيسى عينه اليسرى عمياء، وأنا ذو عينين."

ويقول هؤلاء المفسرون إنّ ذلك لأنّ "التوراة" اهتمت بالماديات والأمور السياسية والدنيوية أكثر، وترَون كيف تكالب اليهود، يأكلون الدنيا بكلتا يديهم، ولا زالوا غير مكتفين، إن هم يأكلون أمريكا، ويأكلون إيران الآن أيضاً، وهم غير قانعين، يبتلعون كل مكان بأكمله.

وفي كتاب حضرة عيسى كان التوجه نحو المعنويات والروحانية كان أكثر، "فالعين اليسرى" والتي تعبّر عن الجانب الطبيعي كانت "عمياء" (ولا أستطيع تأكيد صدور الرواية عن الرسول الأكرم "ص" ولكني أنقلها كما نُقِلَت) أي لم يكن متوجهاً إلى جهة "اليسار" التي تشير إلى الطبيعة، أو أنه كان قليل التوجه نحوه.

والتوراة حسب طبيعتها كان توجهها للماديات أكثر.

و"أنا ذو عينين" أي متوجه نحو المعنويات والماديات معاً، وترَون كيف أنّ أحكام الإسلام تشهد على ذلك، ترَون أحكامه وسياساته.

يتصور الكثيرون، بل الأكثرية من الناس ومن أهل العلم، والقشريين المقدسين، أن لا ربط للإسلام بالسياسة. وأنّ الإسلام والسياسة مفصولان عن بعضهما، وهو الأمر الذي لا تسمح الحكومات بحدوثه، والذي أوحى به إلينا هؤلاء الأجانب، وتلك الحكومات منذ أمد، فهم يقولون: "ما علاقة الإسلام أو المعمّم بالسياسة"، كان البعض إذا أراد أن يعيب على أحد المعمّمين يقول: "معمّم سياسي."

إنهم يقولون: "الإسلام بعيد عن السياسة، والدين على حدة والسياسة على حدة."

هؤلاء لم يعرفوا الإسلام، ذلك الذي تشكّلت حكومته في زمن رسول الله (ص) واستمرت في البقاء . سواء كانت بعد ذلك عادلة أو غير عادلة . حتى وصلت عهد أمير المؤمنين (ع) فعادت لتكون حكومة الإسلام العادلة. وكانت حكومته ذات سياسة من جميع الجوانب. وإلاّ فما هي السياسة؟ والعلاقة بين الحاكم والشعب، والعلاقة بين الحاكم وسائر الحكومات، والقضاء على المفاسد الموجودة، كل ذلك سياسة مَن؟

ولو تأملنا قليلاً سنجد أنّ أحكام الإسلام السياسية أكثر من أحكامه العبادية. والكتب الموجودة في الإسلام عن السياسة أكثر منها عن العبادة.

فذلك المفهوم الذي سعَوا إلى زرعه في أذهاننا مفهوم خاطئ، وإن كان بعض الإخوة المحترمين قد صدّقوا بفصل الإسلام عن السياسة, وأنّ الإسلام مجموعة من الأحكام العبادية تخص العلاقة بين الإنسان والله، فاذهبوا أنتم إلى مسجدكم، وادعوا الله ما طاب لكم، واقرأوا القرآن أينما شئتم، ولن نمسّكم بشيء.

هذا ليس إسلاماً! لقد وقف الإسلام بوجه الظلمة، وأصدر أحكاماً بالقتال، أصدر أحكاماً بالقتل على الكفار والمعتدين، وله أحكام على الأشخاص الذين هم كذا. أفكل هذه الأحكام موجودة في الإسلام حول القتال والجهاد وكذا وكذا، والإسلام بعيد عن السياسة؟! والإسلام ليس سوى ارتياد المسجد وقراءة القرآن وأداء الصلاة؟! كلا، ليس كذلك، الإسلام لديه أحكام يجب تطبيقها.

من جهة أخرى، يهدف الآخرون إلى القول: لماذا تذهبون إلى المسجد؟ ما معنى الصلاة أصلاً؟ وهذا خطأ أيضاً. فالإسلام فيه الصلاة "بُني الإسلام.. على الصلاة" فهو ليس دنيا فقط، وحياة حيوانية، لكي تقول جنابك إذا تحققت الحياة المرفّهة، فماذا أفعل بالصلاة؟ ماذا أفعل بالدعاء؟ إلاّ إذا كان القائل منكراً لما وراء هذا العالم، حينها يكون الحق معه، فحينما لا يكون لما وراء الطبيعة أي شيء، فليس هناك بحث. ولكن عندما يكون هناك عالم وراء هذا العالم، وحينما يقوم البرهان

على ذلك، وحينما تُجمع الأديان جميعها على ذلك، ويكون الدليل قائماً على وجود عالم آخر وراء عالم الطبيعة هذا، حينها ينبغي، وكما هي الحال في التعامل مع عالم الطبيعة بأدواته وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، وقيام الحكومة ببسط العدالة بين الناس، وتنظيم شؤون البشر في هذا العالم، وإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد فلا اعتراض، أي إذا قامت الحكومة بدورها هذا فبها ونعمت وانتهى الأمر. إلاّ أنّ الدليل قائم على وجود عالم وراء هذا العالم، وكذلك أكدت جميع الأديان على ذلك العالم، حينها فإنّ هذه وسائل للتعامل مع ذلك العالم، وتلك الوسائل جاء بها الأنبياء، الدعاء والذكر والقرآن والصلاة، هي أدوات وسائل للتعامل مع العالم الآخر، فالأحكام العبادية كلها أدوات للحياة في ذلك الجانب، والمعارف الإلهية فيضٌ لأجل الحياة في ذلك العالم، ولأجل نورانية ذلك العالم.

إذاً، لا يحق لهؤلاء . الذين وقفوا إلى هذا الجانب . تخطئة أولئك الذين وقفوا إلى ذلك الجانب، فذلك خطأ وضيق أفق.

كما لا يحق لأولئك الذين وقفوا إلى ذلك الجانب أن يقولوا لهؤلاء الذين ينادون بوجوب تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، ووجوب الوقوف بوجه الظلم والتعدي "لست على شيء."!

هل أنّ مسؤوليتنا نحن أن نعكف على الدرس؟ كلا، إنّ مسؤولية جميع المسلمين هي الجمع بين العمل وتحصيل العلم، فيكونون فعالين في معارضة الظلم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. ولو أنّ جميع الناس عملت بهذا التكليف لما تمكنت أية حكومة من الاعتداء على شعبها، ولا تمكنت دولة من الاعتداء على دولة أخرى، هذه الأمور تحدث الآن لأنّ الشعب لا يدعم الممسكين بزمام الأمور.

الشعب في وادٍ وهؤلاء في وادٍ آخر، فهؤلاء لم يتصرفوا مع الناس بطريقة تدفعهم لإسنادهم ودعمهم، بل إنهم يتصرفون بما يستعدي عليهم الشعوب.

إننا عندما نتأمل في أوضاع بلدنا، نرى أنّ هؤلاء أوصلوا الأمور إلى درجة أصبح هناك شرخ بين الدولة والشعب، والى الحد الذي تعرّضت فيه الحكومة إلى السقوط، إن شاء الله، إذا سقطت هذه الحكومة فإنّ الجميع سيفرح، وأنتم لا تتخيلون كم سيكون هذا الفرح عظيماً وشديداً. لماذا؟

لو أنّ حكومة أمير المؤمنين (ع) سقطت، هل كان سيحدث كذلك؟ هل كان الشعب سيفعل هكذا؟ طبعاً لا، وهنا يكمن الفرق.

إنّ هؤلاء معزولون تماماً عن الجماهير، لا علاقة لهم بالشعب، أعني أنّ لهم علاقة بالشعب ولكنها علاقة ظلم وتعدٍّ، علاقة إشاعة فحشاء.

أنتم قد تجهلون مدى انتشار الفحشاء في إيران في الآونة الأخيرة. ليس لكم اطلاع على ذلك.

لا يمكن وصف التردي الذي يَسِمُ الأوضاع حالياً، وقد تم ذلك في "شيراز"، ويقال إنه مقرر أن يتم كذلك في طهران! ولا أحد يتكلم. المحترمون في إيران لا يقولون شيئاً، وأنا في حيرة من صمتهم! كل هذا الفساد الذي يقع، وهذا آخره، ولا أدري إذا كان سيكون بعده آخر؟

شخص يعرض بين جميع الناس أعمالاً جنسية بذيئة، قام بممارسة ذات العملية الجنسية، ولم ينبس أحد ببنت شفة!! فلأي مناسبة يحتفظون بالكلام؟ والى أي زمان؟ متى يريدون أن يقولوا شيئاً؟ متى يريدون أن يقولوا كلمة؟ متى يريدون أن يعترضوا؟

والطريف في الأمر، أنّ ذلك تم برضا المؤسسات الأمنية، وبرضا الحكومة، وبرضا ذلك التافه الكذا! وإلاّ فهل يمكن وقوع أمر كهذا بغير رضا هؤلاء؟ أيمكن أن تُرتكب هذه الفحشاء دون رضاهم؟

يقومون هم بتنفيذ هذه الأعمال، ثم يدفعون الصحفيين إلى انتقاد ما يحصل، وترديد الكلام عن أنه كان عملاً قبيحاً ووقحاً. وحينها سيذهب الكلام في آذان الناس، في حين أنّ ما جرى شاهده الناس بأعينهم! ووصول الكلام إلى آذانهم ليس له دور سوى تهدئة مشاعر الناس، وإطفاء لهيب النار التي قد تكون تأججت في صدورهم.

غداً أيضاً . لا سمح الله . سيُرتكب العمل في طهران، وليس من معمّم أو سياسي أو دكتور أو مهندس أو أي أحد يعترض. ينبغي الاعتراض، يجب أن يتكلم أحد، ولو أنّ الجماهير تكاتفت ولو أنّ الشعب اعترض بأكمله على أمر ما، واتخذ من أحكام الإسلام أساساً للاعتراض، فمن المحال وقوع أمثال هذه الأمور.

إنّ هذه الأمور تقع نتيجة الضعف الذي أصابنا، إنهم يستفيدون من ضعفنا. يقولون إنّ هؤلاء مجموعة من الضعفاء المساكين.

والحال أنكم يا إخوة أقوياء، فظهيركم الشعب، شعبكم مسلم ويحب الإسلام ويحب روحانيي الإسلام، وينبغي على روحانيي الإسلام أن يقوموا بفعالية ما في خدمته، وإن لم يفعلوا فإنّ الناس لا تعاملهم على أساس صفتهم الروحانية.

على أية حال، فالإسلام ينطوي على جميع تلك المعاني التي أشرنا إليها، فهو يضم الجوانب المادية والمعنوية والغيبية والظاهرة، لأنّ الإنسان ذاته ينطوي على جميع المراتب، والقرآن الكريم كتاب لبناء الإنسان. ولأنّ الإنسان . كما أشرنا . ينطوي على مختلف المراتب بالقوة، فإنّ كتاب الله

جاء ليجعل من هذا الإنسان بالقوة، إنساناً بالفعل، وبكامله ذاتياً . بنفس الطريقة التي يقوم فيها الإنسان بإصلاح مجتمعه . حتى يبلغ المرتبة السامية.

لا ينبغي لهذه الفئة أن تتعرض لتلك، ولا لتلك الفئة أن تتعرض لهذه، فكل فئة من هؤلاء تتبنى قضية مستقلة، ومسألة محدودة لحالها. عقلك أنت لا يستوعب ما هو "الفقه" مثلاً، فلماذا تعتدي على الفقه؟ عقلك لا يستوعب ما هي "الفلسفة" وما فوق الفلسفة، لماذا تتجاسر على أصحابها؟ فأنت الذي لا تستطيع أن تستوعب.

كذلك فإنّ مَن لا يستطيع فهم ما تقوله تلك الطائفة أو الفئة، والى ماذا تهدف، لا يمتلك حق الاعتراض، فقد يكون فكره هو محدوداً!

على الجميع أن يتكاتفوا فيما بينهم، ويضعوا أيديهم بأيدي بعضهم، يجب أن يتوحدوا، فقيهاً ومهندساً وطبيباً وطلاباً وجامعيين وطلبة مدارس، على الجميع أن يضعوا أيديهم بأيدي بعضهم، حتى يتمكنوا من القيام بعمل ما، ليتخلّصوا من هذه الأعباء. ولكنهم لا يفعلون! وأنا أجهل لماذا لا يتحركون؟

إلاّ أنّ بوادر تشير إلى بداية حركة ما في الوقت الراهن في إيران، والى سنوح فرصة ما والأمل . إن شاء الله . أن تتحقق فرص جيدة أخرى.

وفّقكم الله تعالى جميعاً، وأيّد الإسلام وعلماء الإسلام والطلبة والمسلمين جميعاً.

هوية الخطاب رقم (24)

العراق/ النجف/ مسجد الشيخ الأنصاري في 14 شوال 1397 هـ.ق، (28 أيلول 1977.(

. الموضوع: تحذير من نفوذ الأفكار الالتقاطية، والفهم الخاطئ للأحكام السياسية . العبادية في القرآن.

. المناسبة: رواج التفاسير الالتقاطية للإسلام . احتفال الفن المبتذل في شيراز.

. الحاضرون: الطلاب والعلماء في حوزة النجف العلمية.